الباب الثاني

# القرآن نصا ومتنا

الفصل الأول : صورة توضيحية عن النصوص القرآنية.

الفصل الثانى : شبهات وردود.

الفصل الثالث : القرآن حجة على جميع الناس.

الفصل الرابع : اعتراف القرآن بالتوراة والإنجيل

وعلاقة هذا بتحريفهما

# الفصل الأول

## صورة توضيحية عن النصوص القرآنية

### ١- اشتمال القرآن على قضايا الدين والدنيا :

بعد الحديث عن القرآن الكريم سندًا ونقلا ، وبعد أن تبين لنا أنه قوى لسند ولا يدانيه في هذا الطريق كتاب آخر ، نأتي إلى الحديث عن هذا الكتاب الكريم نصا ومتنا ، وفي هذا المجال أرى أن الحديث عن كلمات القرآن وآياته ونظمه وأسلوبه أمر لن ينتهي .

ويكفي دلالة على صدق ما أقول ، وصدق هذا القرآن وعلو قدره وأسلوبه وفكره ، وترابط كلماته وآياته أنه منذ ألف وأربعمائة عام والعلماء ينهلون من بحاره وهو لا تنتهي ذخائره ، ولا تنفد خيراته وبركاته ، وسيظل المرجع الأصيل لكل كاتب ولكل عالم .

**فأهل اللغة:** نحوا وصرفا ، بلاغة وأدبا ، لم يجدوا أصدق ولا أقوم لسانا منه ، ولا أحكم ولا أبلغ من أسلوبه ولغته ؛ لذلك استقوا منه مادتهم ، ولم يروا فيه خللا أو اضطرابا .

**وأهل الكلام:** على اختلاف منازعهم وجدوا فيه بغيتهم ، وأصلوا قواعدهم استنادا عليه ، واستمدوا أدلتهم وبراهينهم منه ، ولم يجدوا فيه تناقضا أو تضاربا .

**وفقهاء الشريعة:** وجدوه أعلى مصدر شرعي وأصدقه ، فأخذوا منه أحكامهم، وتأصيلاتهم وتفريعاتهم ، ولم يجدوا فيه نقصا ، ولم يجدوا في أنفسهم حاجة إلى غيره[1] ؛ لأنه كفاهم بكثرة أحكامه وعظيم اتفاقها مع طبيعة الإنسان جسدا وروحا ومع طول الزمن لم يجدوا فيه خللا ولا بدعا من القول ؛ وذلك لأنه وحى العلي القدير ، وكتابه الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[2] .

إننا حين نقرأ هذا الكتاب الحكيم سنجد أنه قد تعددت أغراضه وكثرت اتجاهاته ففيه :

---

(١) أي من الكتب السماوية الأخرى .

(٢) فصلت / ٤٢ .

**العقيدة:** قضية الألوهية ، والوحي والرسالة والبعث والجزاء والكتب المنزلة والحساب والصحف والجنة والنار ودلائل النبوات وأخبار الأنبياء وقصصهم ، والساعة وأهوالها .

**الشريعة:** أحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وأحكام القتال ، وأحكام الحدود ، والبيوع والتقاضي ... الخ .

**وفيه الجهاد:** النواحي العسكرية والحربية ، مقاتلة الأعداء ، السلم والحرب ، المعاهدات الدولية ، الأسرى ، الغنائم .

**وفيه الأسرة:** بناؤها على أسس صالحة ، مشاكلها وعلاجها ، وقواعد بناء البيت المسلم ، الآداب الاجتماعية : آداب الستر والحجاب ، قواعد الصلة بين المرأة وزوجها وأبنائها ... الخ .

**وفيه الآداب والأخلاق** ، وبناء الشخص المسلم ، والشخصية الإسلامية ، وآداب السلوك الفردي والجماعي .

وفيه الحديث الشيق عن الكون ، السماوات والأرض ، البحار والجبال ، السهول والوديان ، الماء والنبات ، الكواكب والنجوم .

نعم ، لقد اشتمل القرآن الكريم على كل هذا ، بل وأكثر من ذلك ، وكل موضوع من هذه الموضوعات قد تكرر في أكثر من سورة لكن القارئ لا يشعر بتضارب هذا القرآن ولا تناقضه ، ولا يحس بإطناب في موقف كان يقتضي الإيجاز، ولا بإيجاز في موقف كان يقتضي الإطناب .

إنك تقرأ القرآن من أوله إلى آخره فلا تقرع أذنك نغمة نشاز ، ولا تحس بأسلوب شاذ ولا بمعنى غير متفق مع حاجات الجسم ومتطلبات الروح ، بل ترى الجرس الحسن ، والأسلوب البديع ، وهذا الترابط الجسدي والنفسي مع آيات وكلمات القرآن الكريم .

إنك تقرأ أكبر سورة منه وهي سورة البقرة ذات الآيات المائتين والستة والثمانين فتراها تتحدث عن الأحكام العقائدية والتشريعية والعبادات والمعاملات والأخلاق والآداب والسلم والحرب والزواج والطلاق ، تتحدث عن هذا كله فلا ترى فيها – مع كثرة آياتها وأغراضها – من تناقض ولا تضارب ، ولا تلمس فيها نقصا ولا

زيادة بسبب صنعة بشرية لأن الله قد تكفل بحفظ هذا القرآن الكريم فقال سبحانه :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [1].

## ٢- من مميزات النصوص القرآنية :

لقد تميز القرآن الكريم في كلماته وآياته ونصوصه بعدة مميزات جعلته كتابا صالحا لكل زمان ومكان ، نافعا لكل إنسان ، ولكل طبقة من الناس ، ولكل جماعة من المجتمع ، من هذه المميزات ما يلي :

١- إن اقتصد في لفظه فليس معنى هذا حدوث خلل في المعنى ترتبا على ذلك الاقتصاد اللفظي ، وإنما ترى المعنى وافيا ومكتملا ومحققا الهدف المراد منه ، ففي قوله تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [2] تجد أن القرآن الكريم قد جمع في هاتين الكلمتين جميع الأشياء والشئون على وجه الاستقصاء ، فقد جمعت كل المخلوقات على اختلاف أصنافها وأنواعها ، وردت وجودها إلى الله تعالى ، وكذلك جمعت كل أنواع التصريف الإلهي وتدبير أمور الكون كله في هاتين الكلمتين ، ولذلك روى عن رسول الله ﷺ « من زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئا فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه » وروى عن عمر قوله «من بقى له شيء فليطلبه » إنهما كلمتان لكنهما كانتا وافيتين بالمعنى على خير ما يكون .

٢- ومن أصدق ما يدل على عظمة القرآن الكريم أنه يخاطب جميع الطبقات من البشر ، فيخاطب العامة والخاصة ، العلماء والجهلاء ، الأذكياء والأغبياء الرؤساء والمرءوسين ، كل واحد من هذه النوعيات يرد مورد القرآن فينهل منه فلا يصدر إلا وقد ارتوى من هذا الوحي الإلهي العظيم .

إنه مع هذا التضاد الواضح بين هذه الطبقات البشرية فإنك تجد القرآن قد وفى بغرض كل جماعة وأشبع رغبة كل طبقة ، ومع هذا وذاك لا تجد في حديث القرآن عن هذه النوعيات من الناس خللا أو خطأ ، أو تضاربا أو تناقضا .

إن العالم حين يقرأ القرآن يستفيد منه ، ويقرؤه الجاهل فينتفع به ، يقرؤه الرئيس فيصلحه رياسة وحكما ، ويقرؤه المرءوس فيهديه إلى طريق الأمان والسلامة ، قال

---

(١) الحجر / ٩ .

(٢) الأعراف / ٥٤.

سبحانه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (١)

٣- والقرآن الكريم يخاطب الإنسان جسدا وروحا ، عقلاً وعاطفة ، فهو يلبي حاجة الجسم بما لا يضر الروح

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾(٢).

ويلبي حاجة الروح بما لا يهضم حق الجسد ..

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (٣) .

كذلك يخاطب القرآن الكريم عقل الإنسان وعاطفته ووجدانه ، فلا يستعمل أسلوبا عقليا جافا وعقيما كأساليب الفلسفة التي تتعب النفس وتقلق الضمير وتشتت الفكر وتوتر الأعصاب ، تاركا العاطفة وراء ظهره ، ولا يستعمل أسلوب العاطفة المجرد من العقل كأساليب الشعراء التي تزول بمجرد صحوة العقل واستيقاظ الفكر ، وإنما يجمع في طياته ، بل في الآية الواحدة بين خطاب العقل والعاطفة دون تعارض أو تناقض ، ودون خطأ أو خلل ، وانظر إلى قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَىۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤).

فهذه الآية قد تحدثت عن حكم شرعي ، وحد من حدود الله ، إنه القصاص

---

(١) النساء / ٥٩ .

(٢) الأعراف / ٣١ .

(٣) القصص / ٧٧.

(٤) البقرة / ١٧٨.

وهذا خطاب العقل ؛ لكنها تضمنت مع قضية القصاص قضية العفو وأخوة الدين وإسداء المعروف ، والأداء بإحسان ، ورحمة الله ، وتخفيفه عن الناس ، وكل هذا خطاب العاطفة لترقيق قلب ولي القصاص فيعفو ويرحم ، وترقيق العاطفة عند القاتل فيحسن الأداء ويراعي المعروف ، « ففي أي كتاب من كتب التشريع تجد مثل هذه الروح ؟ بل في أي لسان تجد هذا المزاج العجيب ؟ بالله لو أن أحدا حاول أن يجمع في بيانه بين هذين الطرفين ففرق همه ووزع أجزاء نفسه لجاء بالأضداد المتنافرة ولخرج بثوب بيانه رقعا ممزقة »[1].

٤- ومن المميزات التي ينفرد بها القرآن الكريم أن الآية الواحدة منه إذا قرأتها مرات متعددة فإنك لا تشعر بملل ولا ضجر ، ولا تحس بأنك تحرث في البحر ، وإنما في كل مرة تكشف حكما أو قضية أو فكرة جديدة ، إنك تقرأ الآية فترى لها وجوها متعددة ، وجمالا متجددا ، وأحكاما كلها صحيحة ، والقرآن في هذا كله لا تناقض في أفكاره ولا خلل في بنيانه ، ولا تضارب في أحكامه لأنه كتاب أحكمت آياته من لدن حكيم خبير .

وانظر إلى قوله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[2].

فمع صغر هذه الآية ، وقلة ألفاظها نراها قد اشتملت على معاني متعددة وأحكام مختلفة ، وهي في هذا كله لا تضارب فيها ولا تناقض ، « إنك لو قلت في معناها : إنه سبحانه يرزق من يشاء بغير محاسب يحاسبه ولا سائل يسأله لماذا يبسط الرزق لهؤلاء ويقدره على هؤلاء ، أصبت ، ولو قلت : إنه يرزق بغير تقتير ولا محاسبة لنفسه عند الإنفاق خوف النفاد ، أصبت ، ولو قلت : إنه يرزق من يشاء من حيث لا ينتظر ولا يحتسب ، أصبت ، ولو قلت : إنه يرزقه بغير معاتبة ومناقشة له على عمله ، أصبت ، ولو قلت : يرزقه رزقا كثيرا لا يدخل تحت حصر وحساب أصبت .

فعلى الأول يكون الكلام تقريرا لقاعدة الأرزاق في الدنيا وأن نظامها لا يجري

---

(١) د. محمد عبد الله دراز النبأ العظيم ، جـ١ ، ص ١١٠ .

(٢) البقرة / ٢١٢.

على حسب ما عند المرزوق من استحقاق بعلمه أو عمله بل تجري وفقا لمشيئته وحكمته سبحانه في الابتلاء ، وفي ذلك ما فيه من التسلية لفقراء المؤمنين ، ومن الهضم لنفوس المغرورين من المترفين .

وعلى الثاني يكون تنبيها على سعة خزائنه وبسطة يده جل شأنه .

وعلى الثالث يكون تلويحا للمؤمنين بما سيفتح الله لهم من أبواب النصر والظفر حتى يبدل عسرهم من حيث لا يظنون .

وعلى الرابع والخامس وعدا للصالحين إما بدخولهم الجنة بغير حساب ، وإما بمضاعفة أجورهم أضعافا كثيرة لا يحصرها العد »[1].

٥- ومن عظمة القرآن الكريم أنه مع طول زمن نزوله[2] واختلاف الأماكن التي نزل بها لا تجد فيه تضاربا بين أوله نزولا وآخره مجيئا ، ولا ترى تناقضا بين ما نزل بمكة وما نزل بالمدينة ، وإنما تجد التناسق والترابط والتلازم بين آياته كلها وعلوه أسلوبا وبلاغة في مكيه ومدنيه .

إنك تقرأ الآية المكية في سورة مدنية ، والآية المدنية في سورة مكية فلا ترى كأنك انتقلت من الوادي إلى الصحراء ، ولا انحدرت من فوق الجبل إلى أسفل الوادي ، أبدا لا ترى هذا في القرآن الكريم ، واقرأ إن شئت قوله تعالى :

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾[3].

هذه ثلاث آيات ، الأولى والأخيرة مدنيتان ، والوسط مكية لأنها نزلت بمنى ، فهل تشعر بفارق بين الآيات يؤدي إلى التضارب والتناقض ؟ لا والله لا يشعر الإنسان بهذا ، بل على العكس من ذلك سيجد القارئ لهذه الآيات أن بينها ترابطا وتلازما ؛ لأن القضية كلها متعلقة بالربا والدين ، فآكل الربا والدائن يحتاج إلى

---

(١) د . دراز ، النبأ العظيم جـ١ ، ص١١١ .

(٢) بالنسبة للكتب السابقة . التي نزل كل واحد منها جملة واحدة .

(٣) البقرة / ٢٨٠-٢٨٢ .

تذكير الله له باليوم الآخر ورجوعه إلى الله ومحاسبته على ما فعل ، والدائن والمدين يحتاجان إلى التذكير باليوم الآخر حتى لا يتعنت الدائن ولا يماطل المدين .

**وبعد :**

فهذه فكرة مبسطة عن آيات القرآن الكريم وإحكامه لفظا ومعنى ، وترابط معانيه وتلازمها ، أردت بها إثبات أن هذا الكتاب الحكيم قد حفظه الله من الخلل والخطأ ، والتضارب والتناقض ، وأنزله كتابا في غاية الصدق والإحكام والإتقان ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[1].

ومع صمود القرآن الكريم هذه السنين كلها أمام تيارات الأعداء فإنه ما زال شامخا عالي الهامة ، قوي التعبير ، رصين الأسلوب ، لا تنتهي فوائده ، ولا تضمر منافعه ، يعلن تحديه للجميع ، إنسا وجنا ، مؤمنا وكافرا ، وجوديا وشيوعيا ، ماديا ومثاليا .

ولقد تكتل أعداء الإسلام وتكاتفوا في سبيل النيل من هذا القرآن العظيم ، وأثاروا الشبهات حوله وحول من نزل عليه ، ولكنهم باءوا بالفشل ، وارتدوا على أعقابهم صاغرين ، فماذا قال هؤلاء ؟ وبماذا رد عليهم علماء المسلمين ؟ ذاك هو موضوعنا التالي.

* * *

(١) البقرة / ٢٨٠-٢٨٢ .

## الفصل الثاني

## شبهات وردود [١] :

في عهد نزول الوحي أثار الكفار بعض الشبهات حول القرآن الكريم ، واليوم نرى بعض المستشرقين يرددون هذه الشبهات القديمة ولكن بأسلوب العصر الذي نعيش فيه ، فقديما قال الكفار :

١- إن محمدا قد اختلق هذا القرآن وافتراه من عند نفسه ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ [٢] وقد تكفل الله بالإجابة عن هذا السؤال ، وكفى محمدا مئونة الرد عليهم فقال سبحانه ردا على شبهتهم هذه :

﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [٣] .

فحيث ادعيتم أن محمدا هو الذي اختلق هذا القرآن فهيا شمروا عن سواعدكم وادعوا أنصاركم وأعوانكم وأتوا بعشر سور مثل القرآن فصاحة وبلاغة ، فإن استطعتم ذلك كان هذا القرآن مختلقا ، أما إذا لم تستطيعوا ذلك فاعلموا أن هذا القرآن أنزل من عند الله ، وأن محمدا لم يختلقه من عنده ، وحيث إنهم لم يستطيعوا ذلك – وإلا كان قد اشتهر هذا عنهم وسجله التاريخ – كان هذا القرآن وحيا إلهيا وليس من صنع محمد ﷺ .

ولقد جاءت ردود أخرى في القرآن الكريم على دعوى الكفار أن محمدا هو الذي كتب هذا القرآن الكريم .

ففي سورة آل عمران جاء قوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ

---

(١) سأقتصر على بعض الشبهات منعا للإطالة واكتفاء بما قام به العلماء من ردود جيدة وموفقة على ما أثاره المستشرقون من شبهات حول القرآن الكريم .

(٢) هود / ١٣ .

(٣) هود / ١٣ .

مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ .

**والرد هنا :** أنه لو كان القرآن مختلقا من عند محمد فكيف استطاع معرفة هذا الغيب البعيد ؟ كيف استطاع معرفة أخبار زكريا ومريم ؟ وهل كان محمد مع هؤلاء الناس وقت اقتراعهم على كفالة مريم ؟ ووقت اختصامهم في كفالتها ؟ الكل يعلم أن محمدا لم يكن موجودا في هذا الزمن الماضي البعيد فلا سبيل إلى معرفة هذا الغيب إلا عن طريق الوحي وهو هذا القرآن .

وفي سورة يوسف قال تعالى :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ .

**ومضمون هذا الرد :** كيف تدعون أن محمدا هو الذي اختلق القرآن من عند نفسه في حين أن به قصص الأنبياء السابقين والأمم الماضية ؟ وهذه الأخبار ما كانت معروفة لدى محمد قبل إيحاء القرآن إليه ولم تخطر بباله ولم يسمعها من أحد لأنه كان أميا لا يكتب ، فوجود هذه الأخبار الماضية دليل على أن هذا القرآن وحي من عند الله وليس من اختلاق محمد بن عبد الله .

وفي سورة القصص يقول سبحانه :

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ [1].

فالله سبحانه وتعالى يقول للكفار وكل من ادعى أن محمدا اختلق القرآن من عند نفسه ، كيف تدعون هذا وهو قد أخبركم بخبر موسى ومناجاته لربه وإسناد الرسالة إليه ، وقصة أهل مدين ؟ ولا يمكن لبشر أن يعرف هذه الأخبار الماضية إلا أحد اثنين : من كان مشاهدا أو قارئا لها ، أو من أوحى الله بها إليه ، وحيث إن محمدا لم يكن بجانب الوادي ولم يكن مشاهدا مناجاة موسى لربه ، وكذلك لم يكن قارئا ولا كاتبا لم يكن هناك من سبيل إلى معرفته بهذه الأخبار إلا عن طريق الوحي الإلهي .

---

(١) القصص ٤٤ – ٤٦ .

٢- واستنادا على عقيدة الكفار في أن القرآن من اختلاق محمد وأن بيده التصرف فيه كيف يشاء ، طلب هؤلاء الناس من رسول الله ﷺ إما أن يأتيهم بقرآن غير هذا القرآن ليس فيه سب آلهتهم أو تسفيه عقولهم ، أو يبدل في هذا القرآن الذي معه فيجعل مكان آيات العذاب آيات الرحمة ، ومكان سب آلهتهم مدحها ، وقد عرض القرآن هذا السؤال من قريش فقال تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ [١] وقد رد الله عليهم بقوله سبحانه :

﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [٢] ، فلا يصح ولا يجوز لمحمد أن يغير شيئا من القرآن ؛ لأنه ليس له حق التصرف فيه والتغيير والتبديل ، والذي له هذا الحق إنما هو الله سبحانه وتعالى الذي أوحى إليه هذا القرآن وبلغه هذه الرسالة .

٣- وهذه فرية أخرى نسجها الكفار ونسبوها إلى رسول الله ﷺ فقالوا : إن محمدا قد اختلق هذا القرآن بمعونة أهل الكتاب له في ذلك :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ﴾ [٣].

فرد عليهم المولى عز وجل بقوله : ﴿ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾

أي هذا الذي يدعيه الكفار كذب وافتراء ، نعم إنه كذب وافتراء ، فهل يعقل أن هذا القرآن الذي أثبت الكفر لأهل الكتاب يكون قد صنعه محمد بمعونتهم ؟ وهل يعقل أن يكون القرآن الذي دعا إلى الوحدانية الخالصة قد اختلقه محمد بمساعدة أهل الكتاب الذين قالوا إن لله ابنا ؟

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ

---

(١) يونس / ١٥ .
(٢) يونس / ١٥ .
(٣) الفرقان / ٤ .

يُؤْفَكُونَ ﴾ [١]

وهل يعقل أن يتلقن العربي الفصيح لغة فصيحة مثل هذا القرآن من أهل الكتاب الأعاجم ؟

٤- أما في هذه المرة فقد ادعوا دعوى كاذبة أخرى هي أن محمدا سمع أساطير الأولين وخرافاتهم وقصصهم فطلب منهم أن ينسخوا له نسخا منها حتى تقرأ عليه ليلا ونهارا فيحفظها ويعيها وعيا كاملا :

﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [٢] .

وقد رد الله عليهم في هذه الشبهة بقوله تعالى:

﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [٣] .

وهل دعوة محمد الناس إلى ترك عبادة الحجر الذي لا يضر ولا ينفع هي من أساطير الأولين ؟ إن الأولين كانوا يعبدون الأصنام ويقدسونها فهل يكتبون أسطورة لمحمد مما عندهم فيها أن الأوثان رجس من عمل الشيطان ؟ إنه لمن تضارب القول وتناقض المنطق أن يكون مقدس الأصنام وعابدها داعيا إلى تحقيرها وتسفيهها وتكفير عابديها .

٥- ومن الدعاوي الكاذبة التي أشاعها الكفار ضد القرآن الكريم أن محمدا تعلم هذا القرآن من أحد الناس الذين يبيعون بجوار الصفا . ويقصدون بهذا رجلا أعجميا كان يعيش بينهم ، وكان غلاما لبعض بطون قريش ، لقد أخبر الله المسلمين بهذه المقالة فقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ [٤]

ثم رد الله عليهم ردا علميا مقنعا وذلك قوله تعالى :

﴿ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾

---

(١) التوبة / ٣٠ .
(٢) الفرقان / ٥ .
(٣) الفرقان / ٦ .
(٤) النحل / ١٠٣ .

إن هذا الذي تقولون إنه علم محمدا القرآن رجل أعجمي بعيد عن العربية الفصحى فكيف يستطيع أن يأتي بهذا القرآن البليغ الذي تحداكم به فلم تستطيعوا – وأنتم أفصح الناس وأبلغهم – أن تأتوا بمثل أقصر سورة منه ؟ ثم إذا كان هذا الأعجمي يعلم محمدا القرآن وقد تحداكم به فلم لم تستعينوا بهذا الأعجمي كي يأتيكم بمثل هذا القرآن فتردون على تحدي محمد لكم بهذا الكتاب الذي جاءكم به؟

٦- أما هذه الشبهة فمراد أصحابها إثبات النقص في القرآن الكريم عن طريق النسيان أو الحذف أو الضياع ، فأما النسيان فذلك استنادا على قول الله تعالى :

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [1].

وعلى قوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [2] .

وعلى قول الرسول ﷺ حين سمع رجلا يقرأ في المسجد « رحمه الله لقد أذكرني آية كنت أنسيتها » .

وأما النقص بطريق الحذف فذلك استنادا على أن بعض الصحابة حذفوا بعض آيات القرآن رأوا في حذفها مصلحة ، وذلك كحذف على آية المتعة ، وكان بضرب من يقرؤها ، واستنادا على دعوى غلاة الشيعة بأن الخلفاء الثلاثة الأول قد أسقطوا بعض آيات القرآن وسوره لما فيها من دلالة على الولاية والإمامة حتى إن ما حذفوه قريب من ضعفي القرآن الآن .

وأما الحذف عن طريق الضياع فذلك لأن القرآن كان مكتوبا على الأخشاب والعظام والعسب ، وقد ضاع العظم فضاعت الآيات بضياعه .

**والجواب عن هذه الأمور باختصار:**

أن المقصود بالآية الأولى : أن الإنساء واقع بأمر الله تعالى؛ وذلك لأن الحكمة والمصلحة تقتضي ذلك ، فهو سبحانه وتعالى إذا أنسى رسوله آية فإنما يعطيه غيرها مثلها أو أفضل منها في النفع والثواب ، وليس المقصود أن الله كان يعطي القرآن

---

(١) البقرة / ١٠٦ .

(٢) الأعلى / ٦، ٧.

لمحمد فينساه لأن هذا يتعارض مع الآية الثانية التي معنا وهي قوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ .

فهذا وعد من الله بعدم نسيان رسول الله لشيء من القرآن الكريم إلا إذا أراد سبحانه ذلك ، وحينئذ لن يعجزه تعالى عن هذا أحد ، فالاستثناء في الآية « إلا ما شاء الله » للتنبيه فقط على أن شيئا لا يخرج عن إرادة الله وقدرته ، وأن عدم نسيان رسول الله ﷺ لشيء من القرآن الكريم على التأبيد إنما هو كرم إلهي وليس بأمر واجب عليه تعالى : ويؤيد هذا ويقويه قوله تعالى :

﴿ الانفطار المطففين الانشقاق البروج ﴾ [1].

فهذه الآية تجعل المشيئة « إلا ما شاء الله » غير واقعة حيث تكفل الله بجمع القرآن وإقراء الرسول إياه وأمنه من النسيان .

وأما حديث رحم الله فلانا « فهذا نسيان لشيء حفظه الرسول وبلغه أصحابه فحفظوه وكتبوه ، ونسيان الرسول ﷺ لها بعد ذلك ليس معناه ضياع آيات القرآن الكريم لأن ما بلغه الرسول للمسلمين بلغ حفظه وكتابته مبلغ التواتر .

وقد يقصد بهذا النسيان غيابها عن الذاكرة أحيانا وليس على سبيل الدوام ، أو أن المقصود بالنسيان هنا نسيان الحكم المترتب عليها دون النص واللفظ ، فكثيرا ما يعرض للإنسان مثل ذلك كما قال عمر في قوله تعالى :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ الآية ، حين سمع هذه الآية من أبي بكر ، والله لكأني أسمعها لأول مرة فلعل معنى النسيان الوارد في قول الرسول ﷺ هو من هذا النوع .

وأما النقص بطريق الحذف استنادا على آية المتعة فإن هذه الآية وغيرها مما يقال إنه حذف من القرآن لم تثبت قرآنيته حتى يقال إنه من القرآن وحذف [2]، ومن يدعي ذلك فعليه بالدليل الذي يقول أن آية المتعة – وأمثالها – من القرآن الكريم . وأنها قد نقلت بطريق التواتر كبقية القرآن وحصل العلم بصحتها وصحة نقلها .

---

(١) القيامة / ١٧ .

(٢) الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، جـ١ ، ص ٢٦٤ .

وأما ادعاءات غلاة الشيعة ، فهذه اتهامات لا دليل عليها ولا سند لها وإنما هي من دسائس أعداء الإسلام وتكفل بترويجها بعض من ينتسبون إلى الإسلام اسما فقط ، والذي يدل على أنها دسائس أن بعض علماء الشيعة كالطبرسي صاحب مجمع البيان ، قد تبرأ من هذا الشطط في القول ونسبه إلى غلاة منحرفين في تفكيرهم فقال :

« أما الزيادة فيه – أي القرآن – فمجمع على بطلانها ، وأما النقصان فقد روى عن قوم من أصحابنا وقوم من الحشوية ، والصحيح خلافه وهو الذي نصره المرتضى واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء »[١] ، وقال الطبرسي أيضا : « أما الزيادة في القرآن فمجمع على بطلانها ، وأما النقصان فهو اشد استحالة »[٢].

والإمام على ذاته كان حاضرا جمع القرآن في عهد أبي بكر وعثمان ولم يثبت اعتراضه على هذا ، بل أكثر من ذلك أنه استحسن ما قام به أبو بكر وعثمان فقال ﷺ : « أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر ، رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله » وقوله بشأن ما فعله عثمان « لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل »[٣] فكيف يكون هذا الثناء من على إذا كان أبو بكر قد أنقص من القرآن شيئا ؟ وكيف يتمنى على القيام بالعمل الذي قام به عثمان إذا كان قد جار على كتاب الله ونقص منه ؟

على أن الخلافة قد انتقلت إلى علي بعد عثمان ، فلو كان قد حدث نقص في القرآن الكريم لأعلن ذلك على الملأ ، ولقام بوضع الأمور في نصابها وإرجاع الآيات والسور إلى أماكنها ؟

وأما النقص في القرآن عن طريق ضياع العظم الذي كان القرآن مكتوبا عليه فمردود عليه بأن هذه العظام لم تكن هي النسخة الوحيدة التي فيها الآيات المدعى ضياعها ، فلقد كان هناك كثير من الصحابة كل واحد منهم عنده نسخة مما ينزل من القرآن الكريم ، أضف إلى هذا حفظ الصحابة للقرآن الكريم مما لا يمكن معه ضياع القرآن بضياع بعض العظام .

---

(١) السابق ، جـ١ ، ص ٢٧٥ .

(٢) الزرقاني ، مناهل العرفان ، جـ١ ، ص ٢٧٥.

(٣) القيامة / ١٧ .

٧- وإذا كانت هذه شبهات تدعى النقص في القرآن الكريم ، فهناك شبهة أخرى تزعم أن في القرآن زيادة عما نزل به جبريل على رسول الله ﷺ ، واستند هذا الفريق على ما روى من «أن ابن مسعود أنكر أن تكون الفاتحة والمعوذتان من القرآن الكريم » .

**والجواب على هذا:** أن مثل هذا الادعاء افتراء على ابن مسعود ، وكذب لا أساس له من الصحة ، إذ قد صح عن ابن مسعود قراءة عاصم وفيها المعوذتان فحين علم بذلك وتم التواتر وانعقد إجماع المسلمين على قرآنيتهما والفاتحة كان أول مؤمن بذلك .

وعموما، فإن المسلمين أجمعوا على أن الفاتحة والمعوذتين من القرآن فلا يضر هذا الإجماع مخالفة ابن مسعود له [1].

٨- ومن أتفه الشبه التي يلقيها أعداء الإسلام دعواهم الكاذبة أن محمدا كانت تنتابه حالة صرع ، أو أنه كانت تنتابه حالات مرضية نفسية ، والوحي نتاج هذه الحالات المرضية والصرع الذي كان يأتي محمدا .

وما أكذب هذه الدعوى وأحقرها ، إذ كيف يكون مصروعا أو مريضا نفسيا ويأتي بهذا الكتاب الذي احتار فيه العقلاء والأصحاء ، بل أعقل العقلاء ؟ كيف يكون بهذه الحالات المرضية ويأتي بهذا الكتاب الذي صلحت به نفوس كثيرة ؟

لقد أصلح القرآن نفوسا جشعة ، وأخرى حاقدة ، ولقد حرر العبيد ، وطهر المجتمع من الربا ، وقضى على شرب الخمر ولعب الميسر ، فهل يصدق عاقل أن هذا الكتاب العظيم ألفه – ألفاظا وأفكارا – رجل مصروع ؟ وهل يمكن أن يكون القرآن بتشريعاته العالية الرفيعة وقواعد الحكم التي اشتمل عليها وأسس الحرب والعلاقات الدولية التي تضمنها ، هل يمكن أن يكون هذا الكتاب من صنع رجل مريض نفسيا ؟ إنه التخبط خبط عشواء ، وإنه الجنون بعينه الذي أصاب عقول أعداء الإسلام حين اكتسحهم القرآن بنوره وتعاليمه ، وإلا فليذكروا لنا حالة مرضية معينة ، وليسألوا التاريخ وليبحثوا فيه ، وحينئذ سيعودون صفر اليدين ؛ لأن محمدا لم يكن في يوم من الأيام مصروعا ولم يكن مريضا مرضا نفسيا .

---

(١) السابق جـ١ ، ص٢٦٨ / ٢٦٩.

## الفصل الثالث

# القرآن حجة على جميع الناس

القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الباقية ببقاء الدهر ، فإذا كانت قد انتهت معجزات الأنبياء السابقين ولم يعد لها أثر أبدا ، فإن معجزة القرآن ما زالت باقية حتى عصرنا الحاضر وستبقى إلى ما شاء الله معجزة باقية تتحدى جميع الناس أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بمثل عشر سور فيه ، أو بمثل أقصر سورة منه لكنهم لن يستطيعوا مهما كانت قوتهم ، ومهما كانت خبرتهم ، ومهما كانت العلوم والمعارف التي حصلوها .

وقد تحدى القرآن أهل الأرض قاطبة ، بل كل الإنس والجن على أن يأتوا بقرآن مثل القرآن الذي أنزله الله وحيا على محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام فعجزوا ولم يستطيعوا أن يقفوا أمام هذا التحدي ، قال عز وجل : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [1] ثم تحداهم بعشر سور فلم يستطيعوا ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [2] وتحداهم بسورة واحدة فلم يستطيعوا ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [3] ، وتحدى القرآن لجميع الإنس والجن وثبوت عجزهم أمام هذا التحدي يثبت أنه حجة عليهم يجب عليهم الإيمان به والالتزام بأحكامه والعمل بما فيه عقيدة وشريعة ، أخلاقا وأحكاما .

ولقد عرفنا هذا السند القوي الصادق الذي انتقل إلينا القرآن عن طريقه ، وأخذنا فكرة مختصرة عن النص القرآني وأدركنا عظمته وصدقه ، ثم رددنا على بعض الشبهات التي أثيرت حول هذا الوحي الإلهي ، وقبل هذا وذاك ثبت لدينا

---

(١) الإسراء / ٨٨.

(٢) هود / ١٣.

(٣) البقرة / ٢٣.

تحريف التوراة والإنجيل واختلاف أصحابهما فيهما [١]، وحينئذ يصبح القرآن حجة على كل الناس سواء منهم من كان من أهل الكتاب أو لم يكن ، ويكون كل الناس مطالبين ومسئولين عما في القرآن من أحكام عقائدية وتشريعية ... إلخ .

**وإنما قلنا بأن القرآن حجة على كل الناس يسألون عما فيه لعدة أمور هي:**

١- أن القرآن الكريم جاء من الله رسالة إلهية إلى الإنسانية كلها ، فقد كلف الله رسوله محمدا بتبليغ هذا الوحي ، فقال سبحانه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [٢] .

وهذا التبليغ يكون لكل الناس ، الأبيض والأسود ، الأحمر والأصفر ، فقال سبحانه : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [٣].

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [٤] .

وقوله ﷺ : « كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة» [٥] وليس هناك نبي ولا رسول بعد محمد ﷺ حيث قال سبحانه :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [٦] .

وحيث إن القرآن معجزة محمد ﷺ الذي هو رسالته لكل الناس ، كان هذا القرآن رسالة موجهة لكل الناس ملزمين به معجزة وملزمين به عملا وتطبيقا .

أما التوراة فكانت كتابا لبني إسرائيل لأن رسالة موسى ﷺ كانت خاصة ببني إسرائيل ولم تكن رسالة عامة ولا عالمية ، وهذا ما نص عليه القرآن الكريم في قوله تعالى :

---

(١) وهذا في كتابينا : « من قضايا التوراة دراسة وتحليل » ، « من قضايا الإنجيل دراسة وتحليل » .
(٢) المائدة / ٦٧ .
(٣) الأعراف / ١٥٨ .
(٤) الفرقان / ١ .
(٥) الصحيحان .
(٦) الأحزاب / ٤٠.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ [١].

والتوراة كانت كتابا خاصا ببني إسرائيل فقال سبحانه:

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [٢].

ولقد أفرط بنو إسرائيل في تطبيق هذا المعنى حتى إنهم كانوا يمنعون غير اليهودي من الانضمام إليهم والانخراط في دينهم وعبادتهم للإله الذي يعبده بنو إسرائيل ، وقد نصت التوراة [٣] على هذا التخصيص فقالت : « لا يدخل عموني ولا مؤابي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر ، لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد » [٤].

والإنجيل أيضا كان رسالة خاصة لبني إسرائيل ، فقد قال سبحانه عن عيسى عليه السلام : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [٥].

وعيسى عليه السلام قد نص على هذا حيث جاء في الإنجيل « وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة ارحمني يا سيد ابن داود ابنتي مجنونة جدا فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » [٦].

فأي الكتب يكون حجة ، الذي هو لكل الناس أم الذي كان لجماعة مخصوصة؟ وأي الكتب أنفع ؟ الذي كان لجماعة مخصوصة لها ظروفها وواقعها أم الذي جاء لجميع الخلق متضمنا أحوال وواقع كل الناس ؟

---

(١) الصف / ٥.

(٢) الإسراء/ ٢.

(٣) الاستشهاد بالتوراة أو الإنجيل مع اعتقادنا بتحريفهما إنما هو من باب إلزام الخصم بما يعتقده هو ، وبما يراه صحيحا .

(٤) تثنية : ٢٣ / ٣ .

(٥) آل عمران / ٤٩ .

(٦) متى ١٥ : ٢٢- ٢٤ .

إنه مما لا شك فيه أن القرآن هو الحجة لأنه جاء لكل الناس ونافع لكل الناس .

٢- القرآن واف بمطالب الحياة ، فيه العقيدة والشريعة والآداب والأحكام الأسرية والحربية . وبه أسس القيادة والعلاقات الدولية ، به ما يصلح الفرد والأسرة والمجتمع ؛ لذلك كان وافيا بكل مطالب الحياة سواء منها الفردية أو الجماعية.

أما التوراة فإنها تعالج أحكام السياسة الظاهرة العامة حيث تركز على أمور الحياة العامة دون نظر إلى أمور الإنسان الخاصة ، كما تركز على أمور الحياة المادية دون عناية بحياة الإنسان الروحية ، ففي التوراة « النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن » ، وهذه هي أحكام السياسة الظاهرة العامة .

والإنجيل يعالج أحكام السياسة الباطنة الخاصة حيث يركز على الإنسان الفرد ، فيهتم بالحياة الروحية من حسن معاملة وأخلاق وآداب دون اهتمام بأمور الحياة العامة التي تخص المجتمع ككل ، أو التي لها علاقة بأمور الحياة المادية ، ففي الإنجيل: « إذا لطمك أخوك على خدك الأيمن فضع له خدك الأيسر » ، وهذه هي أحكام السياسة الباطنة الخاصة .

ولكن القرآن الكريم قد اشتمل على أحكام السياسة العامة والخاصة ، فأما اشتماله على السياسة العامة الظاهرة فهذا في قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ﴾ ، ففي هذه الآية إشارة إلى تحقيق السياسة الظاهرة .

وأما اشتماله على السياسة الباطنة الخاصة فهذا في قوله تعالي :

﴿ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ ففي هذا إشارة إلى تحقيق السياسة الباطنة الخاصة[1].

ولقد وضع القرآن الكريم الأحكام التي تصلح الفرد في داخل ذاته وفي داخل المجتمع ، كما وضع القواعد التي تنظم المجتمع وتصلح من جميع شئونه .

---

(١) الشهرستاني ( عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ) الملل والنحل ( نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ) جـ٢ ، ص ٤٤ .

كذلك اهتم القرآن بالإنسان جسدا وروحا ولم يكن كالتوراة التي انصب جل اهتمامها على الماديات ، وليس كالإنجيل الذي ركز على الروحانيات والمعنويات ، فلم يقرر أحكاما ولم يستنبط حلالا ولا حراما ، وإنما كان رموزا وأمثالا ومواعظ .

٣- من هنا كان القرآن الكريم علاجا لمشكلات الإنسانية المعذبة ، فهذه الحروب الطاحنة التي تهلك الحرث والنسل لها في القرآن علاج ، ومشاكل الشباب لها في القرآن علاج ، ومشاكل الاقتصاد لها في القرآن علاج ، ومتاعب الأسرة ومشاكلها لها في القرآن علاج .

ومن أراد التحقق والتأكد فليقرأ القرآن وليستعن بكتب التفسير وحينئذ سيرى صدق ما يقوله المسلمون وما يعتقدونه « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » .

٤- والقرآن حجة على أهل الكتاب – ومن باب أولى من لم يكن له كتاب – لأن كلا منهم قد طعن في كتاب الجماعة الأخرى ورآه كتابا محرفا لا فائدة منه .

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾[1] فكلاهما ليس على شيء وذلك باعتراف قدمائهم وشهادة أحبارهم وقسسهم .

وكلاهما ليس على شيء إلا إذا أقام التوراة التي نزلت على موسى والإنجيل الذي نزل على عيسى ، ولا يمكن لهم إقامتهما إلا بإقامة القرآن الكريم ؛ لأنه الكتاب الذي اختاره الله مصدقا ومهيمنا على ما سبقه من كتب ، فقد أثبتها وأقرها وأعلن الناس بها وطالبهم بتطبيقها والعمل بما فيها فقال سبحانه :

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ

---

(١) البقرة / ١١٣ .

أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [١] ، وقال سبحانه :

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [٢] .

هذا هو رأي الإسلام في التوراة التي نزلت على موسى والإنجيل الذي نزل على عيسى ، ولكن اليهود والنصارى قد طعنوا في كثير من كتبهم ونسبوا إليها التحريف ، والتوراة قد تعددت مع اختلافها فيما بينها [٣] ، والإنجيل قد تعدد وتضاربت نسخه فيما بينها ، لذلك كان لابد من حكم يبين الحق من الباطل ، هذا الحكم هو القرآن الكريم ، الذي جعله الله حكما في قوله عز وجل :

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [٤] .

وفي قوله سبحانه : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [٥] ؛ لذلك كان القرآن حجة على جميع الناس بمن فيهم أهل الكتاب .

٥- والقرآن حجة على جميع الناس لأنه أصدق الكتب وأوثقها ، فهو ثقة في سنده ، صادق في متنه ، إنه الكتاب الذي حفظه أهله في صدورهم وكتبوه في السطور ، وهذا وذاك قبل أن يموت الرسول أنزل عليه ، وظلوا محافظين على هذا الكتاب بعد موت رسولهم ، فبقي الكتاب هو هو لم يتبدل ولم يتغير ، ليس فيه

---

(١) المائدة / ٤٣، ٤٤ .

(٢) المائدة / ٤٧ ، اعتراف القرآن بالتوراة والإنجيل في هذه الآيات والدعوة إلى العمل بما فيهما إنما هو خاص بالتوراة التي نزلت على موسى والإنجيل الذي نزل على عيسى لأنهما وحي إلهي . أما التوراة التي حرفت بعد ذلك والإنجيل المحرف فالقرآن لا يعترف بهما بدليل وصفه لهما بالتحريف وضياع الحق الذي كان فيهما .

(٣) فالسامريون يرون أن توراتهم صحيحة والأخرى محرفة ، واليهود غير السامريين يرون أن توراتهم صحيحة والسامرية هي المحرفة ، وكذلك أهل الإنجيل ، فالذين يرون أن عيسى من طبيعة إلهية ينظرون إلى الأناجيل التي تقول بالطبيعة البشرية على أنها محرفة وبالعكس .

(٤) آل عمران : ٢/ ٣ .

(٥) المائدة / ٤٨ .

تحريف ولا تغيير، وكان حقا قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[١] .

لكننا نرى التوراة التي نزلت على موسى واحدة قد أصبحت بعده توراتين مختلفتين عن بعضهما البعض في كثير من الأمور ، ويكفي دلالة على تحريفها أنها وصفت الأنبياء بصفات بذيئة لا تليق بالإنسان المؤمن العادي بله الرسول القدوة والنبي المعلم .

فهذا رسول قالت التوراة إنه زان ، وهذا رسول زنا بابنته بعد أن شرب الخمر وسكر ، وهذا رسول كذاب ، وآخر قتل أخاه ، والأدهى والأمر أنها وصفت بعض الأنبياء بالكفر والوثنية فهذا رسول عبد العجل ، وهذا نبي قد ارتد وعبد الأصنام ، فهل تصلح تلك التوراة بعد هذا أن تكون قدوة ؟ وأن تكون حجة ؟ وأن تصلح أمة ؟ قال سبحانه وتعالى :

﴿ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ﴾[٢] .

وقال عز وجل : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾[٣] .

والإنجيل الذي نزل على عيسى واحد لكنه أصبح أناجيل كثيرة لم تكتب إلا بعد عيسى عليه السلام بسنين عديدة ، وهي فيما بينها متضاربة متناقضة ، بها الزيادة والنقص، والخطأ والغلط ، وقد عرضت نماذج من هذه التناقضات والتحريفات في البحث الخاص بالأناجيل مما لا يدع مجالا للشك في أنه – أي الإنجيل – أصبح كتابا غير صالح لقيادة أمة وإصلاح شعب وعلاج مشاكل الحياة اليومية .

وكيف يكون هذا الإنجيل الموجود اليوم حجة على الناس وهو يدعو إلى الشرك والكفر ؟ وكيف يكون هذا الإنجيل كتابا إلهيا وهو قد نال من الذات الإلهية وأهان قدسيتها حيث دعا إلى التثليث وبشر الناس به وجعل من الإله دمية يستهزئ بها الكهنة والفريسيون ؟ كيف يكون إنجيل اليوم كتابا مقدسا وهو قد أجاز صلب

---

(١) الحجر / ٩ .

(٢) النساء / ٤٦ .

(٣) المائدة / ١٣ .

الإله وقتله والتمثيل به وهو بين لصين من اللصوص ؟ وكيف يكون الإنجيل اليوم وحيا سماويا وهو قد جعل الإله ضعيفا مهينا لا يستطيع الدفاع عن نفسه ؟ قال سبحانه :

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [1] وقال عز وجل:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [2].

٦- والقرآن حجة على جميع الناس ؛ لأنه الكتاب الذي دعا إلى الوحدانية الخالصة ونهى عن الشرك بكل صوره وعن الصاحبة والولد ، كما نهى عن التثليث وعموم التعدد ، وهو حين دعا إلى الوحدانية ونهى عن الشرك بكل أنواعه أقام هذا على الأدلة الإقناعية - لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد - فلقد ناقش أهل الكتاب في شركهم ، واستدل على بطلان فكرهم وعقيدتهم حيث قال سبحانه :

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [3].

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [4].

كما وبخهم على نسبتهم الابن إلى الله تعالى فقال سبحانه :

---

(1) المائدة : ١٤/ ١٥ .

(2) المائدة / ٧٣ .

(3) آل عمران / ٦٤ .

(4) آل عمران / ٧٠ ، ٧١.

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (١).

كما ناقش القرآن الكريم هؤلاء الذين كفروا بالله ورسوله فبين بالدليل فساد عقيدتهم حيث قال سبحانه :

﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (٢).

والقرآن هو الكتاب الوحيد الذي وصف الله بالصفات التي تليق به تعالى ونفى عنه أن يكون مثل البشر في أشكالهم أو أوصافهم أو أفعالهم ، فهو سبحانه : الواحد، القادر ، العالم ، المريد ، السميع ، البصير ... إلخ وهو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٣).

أما في التوراة فالإله يأمر بالسرقة ( خروج ٣: ٢٢) والإله يندم وينتصح من المخلوقين ( خروج ٣٢ : ١٠- ١٤ ، عدد ١٣-١٨) والإله يقع في الخطأ ويندم على هذا الخطأ الذي كان منه . ويختار ملكا ويندم على اختياره له ( خروج ٣٢: ١٤) ، ( صموئيل الأول ١٥: ١٠) .. إلخ هذه الصور التي لا تليق إلا بإنسان معتوه لا شخصية له .

وإذا قرأنا الإنجيل فالله فيه هو الكلمة ، والكلمة صار جسدا وحل بينهم ( يوحنا ١: ١- ١٤) وهذا هو التشبيه بعينه وتجسيم الإله في الصورة البشرية .

٧- والقرآن حجة على اليهود والنصارى – ومن باب أولى غيرهم – لأنه ذكر

---

(١) التوبة / ٣٠ .

(٢) الأنعام / ١٠٠-١٠٣.

(٣) الشورى / ١١ .

أمورا كثيرة ، وقضايا متعددة تتعلق بموسى وشريعته ومعجزاته وما كان بينه وبين فرعون ، وكذلك تحدث القرآن عن مريم وعيسى ومعجزاته ودعوته .. إلخ ولم يختلف القرآن في ذكره لهذه الأمور عما هو معروف عند اليهود والنصارى ، فمجيء يوسف إلى مصر ، ودخول يعقوب وأخوة يوسف إلى مصر ومعيشتهم فيها يتفق فيها القرآن مع التوراة ( سورة يوسف / سفر التكوين ) ، ولما خرج موسى ببني إسرائيل إلى سيناء وعبدوا العجل فوبخهم موسى على ذلك ، اتفق فيه القرآن مع التوراة ( سورة طه / سفر الخروج ) وتعنت بني إسرائيل وطلبهم ملكا عليهم ، يتفق فيه القرآن مع التوراة [1] ( البقرة / صموئيل الأول ) .

وحديث القرآن عن مريم وحملها بعيسى بدون أب وموقف اليهود من عيسى ودعوته ، والمعجزات التي أيد الله بها عيسى ، كل هذا ذكره القرآن ، وكذلك الأناجيل تحدثت عنه .

وحيث ثبت صدق القرآن في هذا وقد وضح لكم الحقائق وجب عليكم أن تؤمنوا به وتصدقوا برسوله وتعملوا بما في كتاب الله ألا وهو ( القرآن الكريم ) .

والتاريخ يذكر أن أهل الكتاب قد صدقوا محمدا في هذه القضايا وغيرها وإلا كانوا كافرين بتوراتهم وإنجيلهم ؛ لأن وجود هذه القضايا أمر مشترك بين القرآن والكتب الأخرى ، فمقتضى تصديقهم بها لأنها في التوراة والإنجيل يلزم عليه تصديقهم بها كما هي في القرآن الكريم ، وحينئذ وجب عليهم تصديق القرآن في كل ما يقوله – إذ كيف يصدقونه في بعض الأمور ويكذبونه في البعض الآخر ؟ – ومن هذا الذي يقوله أنه ﴿وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [2] وإذ وجب عليهم تصديقه لأنه وحي إلهي كان حجة عليهم لأن من صدق بشيء صار حجة عليه ومسئولا عنه [3] .

---

(1) التوراة هنا مستعملة بالإطلاق العام عندهم .

(2) النجم / ٤ .

(3) قد يقول قائل : وأيضا التوراة والإنجيل جاءت فيهما أمور وقضايا تؤمنون بها أيها المسلمون ، ولم تختلف فيها كتب العهدين عما في القرآن فلم لا تصدقون أنتم بالتوراة والإنجيل ؟ ولم لا تؤمنون بما فيهما من أمور العقيدة وتعملون بما فيهما من أمور الشريعة ؟

ونجيب على هذا : بأن هناك فارقا كبيرا بين القرآن وكتب العهدين القديم والجديد ، فالقرآن كتب في عهد رسول الله وبقى كما هو لم يتغير ، لكن التوراة وإن كانت قد كتبت في عهد موسى إلا أن =

٨- والقرآن حجة على اليهود والنصارى – ومن باب أولى غيرهم – لأنهم رأوا من الرسول الذي جاء بهذا القرآن معجزات باهرة لا تظهر على يد مدع كذاب أو فاسق ضال ، كما أن كثيرا من عقلاء أهل الكتاب كانوا يعظمون محمدا ﷺ لما دعا إليه من الوحدانية ومكارم الأخلاق ومحاسن الشريعة مما جعلهم يؤمنون بأن محمدا رسول لكن للعرب خاصة ، ولكن تصديقهم بأنه رسول يعني أنه يوحى إليه ويكلمه ربه ، ومن كان هكذا لا يكون كاذبا فحين صدقوا بالرسالة لزمهم تصديقه في كل ما يخبر به ، ومن هذا الذي أخبر به أن هذا القرآن كتاب الله وأنه مصدق ومهيمن على الكتب الأخرى ؛ لذلك كان حجة عليهم يسألون يوم القيامة عما فيه ولم لم يعملوا به ؟

٩- والقرآن حجة على اليهود والنصارى – ومن باب أولى غيرهم – لأن الطريق الذي استدل به هؤلاء الناس على ثبوت توراتهم وإنجيلهم هو نفسه الطريق الذي استدللنا به نحن المسلمين على صدق القرآن الكريم ، وحيث إن اليهود والنصارى معترفون بأن الله حين أنزل التوراة والإنجيل قد قرن هذا الإنزال بالمعجزات الدالة على صدق هذين الكتابين فإنا نقول لهم وكذلك القرآن الكريم حين أنزله الله على محمد قرن هذا الإنزال بالمعجزات الدالة على صدق هذا الكتاب الكريم ، وإذ كان طريق التصديق بهذه الكتب كلها واحد فإما أن تصدقوا

---

= التاريخ يذكر أنه عند فتح التابوت الذي وضعت فيه التوراة لم يجدوها ( سفر الملوك الأول ) وإذن فالتوراة الموجودة اليوم غير التي كانت مع موسى بدليل أنهما توراتين بينهما اختلاف .

وأما الأناجيل فالنصارى معترفون بكتابتها بعد عيسى عليه السلام ومن يتصفحها يراها متنافرة متناقضة يشع منها الكفر والبهتان ، والكتاب الديني لا يدعو إلى الشرك والكفر .

والقرآن واحد في الشرق والغرب ، في الشمال والجنوب ، في عهد النبوة وما بعد عهد النبوة ، هو هو ، لم يتغير ولم يتبدل ، والتوراة والإنجيل ليسا كذلك .

والقرآن في كل ما ذكره من أمور العقائد متفق فيها مع ما جاءت به الرسل والأنبياء ، لكن التوراة والإنجيل المحرفتين ابتدعتا لله ابنا ووصفتاه – أي الله – بصفات البشر ، وهذا لا يتفق مع ما جاءت به الرسل والأنبياء . على أن مجرد اتفاق التوراة والإنجيل مع القرآن في بعض الأخبار لا يعني اتفاقهما معه في جميع الأخبار والأحداث مما يعني أن هناك كذبا فيهما مما يقتضي عدم الأخذ بما جاء فيهما أو بعض ما جاء فيهما .

بالقرآن كتصديقكم بالتوراة والإنجيل – وهذا ما يجب أن يكون – وإما أن تكذبوا بالتوراة والإنجيل كتكذيبكم بالقرآن ، وهذا كفر ، لكنكم أقررتم وصدقتم بتوراتكم وإنجيلكم ، وحينئذ يلزمكم التصديق بالقرآن في كل ما قال وكل ما جاء به ، قال الفخر الرازي :

« وافقتمونا أيها اليهود والنصارى على أنه تعالى أنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس ، فإنما عرفتم أن التوراة والإنجيل كتابان إلهيان لأنه تعالى قرن بإنزالهما المعجزة الدالة على الفرق بين قول المحق وقول المبطل ، والمعجز لما حصل به الفرق بين الدعوى الكاذبة كان فرقا لا محالة ، ثم إن الفرقان الذي هو المعجز كما حصل في كون التوراة والإنجيل نازلين من عند الله فكذلك حصل في كون القرآن نازلا من عند الله ، وإذا كان الطريق مشتركا فإما أن يكون الواجب تكذيب الكل على ما قول البراهمة ، أو تصديق الكل على ما هو قول المسلمين ، وأما قبول البعض ورد البعض فذلك جهل وتقليد »[1].

١٠- والقرآن حجة على أهل الكتاب – ومن باب أولى غيرهم – لأن الرسول ﷺ تحداهم به كما تحدى المشركين ، ودعاهم إلى الإيمان به كما دعا غيرهم ، وأرسل الكتب إلى رؤسائهم وزعمائهم كما دعا بقية الرؤساء والزعماء ، فأرسل ﷺ كتبه ورسله إلى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس وسائر ملوك الأطراف يدعوهم إلى الإسلام ، وهو الذي قال :

« لا يسمع بي رجل من هذه الأمة ، يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار »[2] ، ومن الإيمان بمحمد الإيمان بالوحي الذي نزل عليه وتصديقه في كل ما قال ، والعمل بما فيه من أحكام وتشريعات .

* * *

(١) الفخر الرازي ، مفاتيح الغيب (ط١) م٤ ج٧ ص ١٦٩ .

(٢) رواه مسلم في الإيمان : باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس .

# الفصل الرابع

# قضيَّة اعتراف القرآن بالتَوراة والإنجيل

# وَعلاقة هذا بتحريفهما[1]

حين نطالع القرآن الكريم نجد فيه بعض الآيات التى فيها اعتراف بالتوراة والإنجيل ، والتصديق بصحتهما ، وذلك كقوله تعالى:

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[2] .

فهذا النص القرآنى يثبت أن التوراة فيها حكم الله ، وفيها هداية ونور ؛ ولذلك يجب أن يحكم بها النبيون ، ومن لم يحكم بالتوراة التى أنزلها الله فهو من الكافرين ، وهذا اعتراف وتصديق بها .

كذلك قوله تعالى:

---

[1] فى أثناء الحديث عن القرآن الكريم أشرنا إلى اعتراف القرآن بالتوراة والإنجيل ، كما أشرنا إلى نسبته التحريف إليهما .

ولما كان أهل الكتاب يستندون إلى الآيات التى تعترف بالكتابين فى إثبات صحتهما وعدم تحريفهما لزم توضيح هذه القضية ولبيان العلاقة بين النصوص القرآنية التى تعترف بالكتابين والتى تصفهما بالتحريف.

وقد أشرت إلى هذه القضية إشارة مقتضبة فى بحثى التوراة والإنجيل ، وإنما أخرت تفصيلها إلى ما بعد الحديث عن القرآن ؛ لأنه المصدق لهما وحيث إنه حكم بتحريفهما فهذا يكون بعد إثبات صدق القرآن وحجيته على أهل الكتاب والناس أجمعين .

[2] المائدة / ٤٣/ ٤٤.

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[1].

فهذه الآية شهدت بأن الإنجيل هدى ونور ، ويجب على أهله أن يقيموه وذلك بما فيه من أحكام ، وهذا اعتراف بالإنجيل وتصديق بصحته .

أيضًا قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾[2] وقوله ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[3].

فمجموع هذه الآيات فيه تمجيد للتوراة والإنجيل ودعوة إلى التمسك بهما والحكم بما فيهما ، وهذا اعتراف صريح وتصديق من القرآن بصحتهما .

فى الجانب الآخر نرى آيات أخرى تصف التوراة والإنجيل بالتحريف ، وذلك كقوله تعالى :

﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ﴾[4].

ففى هذه الآية ثبوت وقوع التحريف ولى الألسن ، والطعن فى الدين ، وهذا

---

(1) المائدة / ٤٦/ ٤٧

(2) المائدة / ٦٥/ ٦٦

(3) المائدة / ٦٨ .

(4) النساء / ٤٦

ينزل من قدر التوراة ويحط من قدسيتها .

كذلك جاء فى القرآن قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾[1].

فهنا وصف الله بنى إسرائيل بالتحريف ونسيان آيات الله وإخفائها ، وهذا طعن فى التوراة والإنجيل .

أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[3].

فهذه النصوص كلها تثبت تحريف التوراة والإنجيل وضياع كثير من آياتهما إما بالتناسى أو الإخفاء أولىّ الألسن بالكلام حتى يصير المعنى محرفا فى أذن السامع .

فهل هناك تعارض بين مجموعة النصوص الأولى ومجموعة النصوص الثانية ؟ أم

---

(١) المائدة / ١٣- ١٥

(٢) المائدة / ٤١

(٣) البقرة / ٧٥

أن الاعتراف بهما دليل على صحتهما وإبرائهما من تهمة التحريف ، ويكون لكلمة التحريف معنى آخر ؟ أم أن الأمر لا هذا ولا ذاك ؟

هذه القضية أثارها أحد النصارى اللبنانيين[١] فى عصرنا الحاضر ، حيث عرضها على القراء واستنتج منها ما يخدم غرضه وهدفه من عرضها ، لكن الاستنتاج الذى وصل إليه خاطئ ؛ لأنه بنى على فهم خاطئ لآيات القرآن الكريم.

لقد استند هذا النصرانى إلى الآيات الأولى التى تعترف بصحة التوراة والإنجيل قبل التبديل فجعل الاعتراف بصحتهما مرتبطا بهذا الوقت وهذه الظروف ، جعله منسحبا عليهما بعد موسى وبعد عيسى دون تفريق بين ما كان فى عهد موسى وعيسى من محافظة ومدارسة للكتابين ، وما كان بعدهما من إهمال وحذف وإضافة فى هذين الكتابين .

ثم عمد إلى الآيات التى تقول بالتحريف فصرف ألفاظها عن حقيقتها ، مبينا أن المقصود بالتحريف الوارد فى الآيات القرآنية هو تحويل وتأويل اليهود والنصارى آيات التوراة والإنجيل بغير المعنى والمقصد الصحيح ، فالتحريف هو تفسير الآيات بمعنى غير المعنى الصحيح ، وليس المقصود بذلك التحريف اللفظى الذى يدعيه المسلمون بوضع حرف مكان حرف أو كلمة مكان كلمة ؛ لأن القرآن نفسه قد نفى هذا التحريف حيث جاء فيه ﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾[٢] ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾[٣] ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾[٤].

---

(١) لقد عرض الأستاذ محمد عزة دروزة هذه الشبهة ونسبها إلى صاحبها ثم قام بالرد عليها وذلك فى كتابه (( القرآن والمبشرون )) ( ط ٣ سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ) ص ١٦ وما بعدها .

(٢) الأنعام / ٣٤

(٣) الأنعام / ١١٥

(٤) الكهف / ٢٧

وقد أجاب الأستاذ محمد عزة دروزة على ذلك[١] بعدة إجابات نختصرها فيما يلى:

١- ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يقصد بها حكم الله وقضاؤه لا كلمات الله التى نزلت فى التوراة والإنجيل .

٢- التبديل غير مستحل ؛ لأن البشر يخطئون في كتاباتهم وينسون ، وكذلك الذين كتبوا التوراة والإنجيل هم أيضا ينطبق عليهم هذا الحكم البشرى ، فلعلهم أخطأوا فى كتاباتهم بقصد أو بدون قصد ، ولعلهم نسوا – أو تناسوا - شيئا من هذه الكلمات[٢].

٣- ضرورة وقوع الخطأ فى الكتابة أو القراءة ينفى الاحتمال الذى يدعيه الخورى – وهذا هو الذى أثار القضية – من أن المقصود بالتحريف المذكور فى القرآن صرف الكلام عن حقيقة مدلوله وتأويله بغير القصد .

٤- ومع التسليم بأن القرآن اعترف بصحة التوراة التى نزلت على موسى والإنجيل الذى نزل على عيسى ، فهذا لا يمنع من أن يكون اليهود وقت نسخهم للتوراة من أصل ، أو وقت قراءتها قد أخطأوا فى كلمات كثيرة أو ينسونها أو يخفونها أو يكتمونها .

**وأضيف إلى هذا الذى اختصرته من كتاب « القرآن والمبشرون » :**

أن القرآن حين نص على صحة التوراة والإنجيل فتلك التوراة الصحيحة هى التى نزلت على موسى عليه السلام ، وذلك الإنجيل الصحيح هو الذى نزل على عيسى عليه السلام فلقد كانت هناك فصول باقية فى عهد الرسول ﷺ كما كانت هناك بعض التشريعات التى تتفق مع شريعة الإسلام .

وحين نص القرآن على أن بنى إسرائيل حرفوا التوراة والإنجيل واخفوا وكتموا

---

(١) محمد عزة دروزة ، القرآن والمبشرون ص ٤٦ وما بعدها .

(٢) لا يقال: إن هذا الحكم ينطبق أيضا على القرآن ، لا يقال هذا لأن القرآن كتب فى عهد الرسول وكان يحفظه والصحابة من بعده كانوا يحفظونه .

منهما فتلك توراة أخرى كتبها اليهود بأيديهم فأسقطوا وأخفوا ، وبدلوا وغيروا ، وذلك إنجيل آخر كتبه النصارى بأيديهم فأسقطوا وأخفوا وبدلوا وغيروا .

فالقرآن حين اعترف بصحة التوراة والإنجيل لم يقصد بهما التوراة المحرفة ولا الإنجيل المبدل ، بدليل أنه وصفهما فى الآيات الثانية التى ذكرناها بالتحريف وأن أهلهما كانوا يلوون ألسنتهم فى القراءة قصد التحريف ، وكانوا يخفون الآيات حينا وينسونها حينا آخر ، ولا تجتمع الصحة والتحريف على كتاب واحد فى وقت واحد ، وإنما العقل والمنطق يقولان بأن الصحة صفة لكتاب وهذا هو الذى نزل على موسى والذى نزل على عيسى ، والتبديل والتحريف صفة لكتاب آخر وهو التوراة التى كتبها الربانيون والأحبار ، والإنجيل الذى ألفه الرهبان والقسس .

وإذا أجاز الخورى لنفسه الاستدلال بآيات القرآن التى تدل على صحة هذين الكتابين فلم لا يجوز لنفسه الاستدلال بالآيات الأخرى التى تقول بفساد هذين الكتابين ؟

بل الصحيح هو الاستشهاد بالآيات التى تدل على فساد التوراة والإنجيل ، دون الاستشهاد بالآيات التى تدل على صحتهما ؛ وذلك لأن الفساد أمر يكون طارئا على شيء موجود وصحيح ، فالشيء يكون صحيحا أولا ثم يفسد ثانيا بسبب بعض العوامل والظروف ، وعلى ذلك فحين قال القرآن بصحة هذين الكتابين فهذا باعتبار المرحلة الأولى التى كان المؤمنون من بنى إسرائيل يحافظون على التوراة والإنجيل ، تلك التوراة التى تزلت على موسى ، والإنجيل الذى نزل على عيسى ، وحين قال القرآن بتحريفهما فذلك باعتبار المرحلة التالية التى تأثرت بالأغراض الشخصية والعوامل السياسية ، وظروف التشتت والقهر الذى عاش فيه بنو إسرائيل ، مما كان سببا مهما فى تحريف هذين الكتابين .

أما صرف لفظ التحريف – الوارد فى القرآن وصفا للتوراة والإنجيل – إلى معنى تحويل وتأويل ، وأن المقصود بهذا – حسب رأى الخورى – التأويل بغير المعنى والمقصد الصحيح ، فهذا صرف غير جائز لا تؤيده اللغة ، ولا يقول به

جمهور المفسرين للقرآن الكريم ، فاللغة تقول: « وتحريف الكلام عن مواضعه تغييره... ويقال: انحرف عنه وتحرف واحرورف أى مال وعدل » ، فالتحريف فى اللغة تغيير الكلام عن مكانه والميل والعدول عن الكلمة الأصل إلى كلمة أخرى غيرها .

وجمهور المفسرين على أن التحريف هو التبديل والتغيير فى كلمات التوراة والإنجيل ، وابن كثير حين قال فى قول الله: « يحرفون الكلم من بعد مواضعه » أى يتأولونه على غير تأويله ، أتبع هذا بقوله: « ويبدلونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » ، فعاد إلى تفسير التحريف بالتبديل ، كما قال فى تفسير سورة الجمعة عن اليهود: « حملهم الكتاب الذى أوتوه حفظوه لفظا ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه بل أولوه وحرفوه وبدلوه[1] » .

وإذن فما قاله الخورى تعسف وحمل للألفاظ على غير معناها دون قرينة تساعده على هذا أو لغة تناصره فى دعواه .

وأياما كان الأمر ، وسواء أكان المقصود بالتحريف تبديل كلمة مكان كلمة أو تبديل معنى مكان معنى آخر فهذا كله تحريف ، الأول تحريف فى الألفاظ ، والثانى تحريف فى المعنى ، وكلاهما قام به بنو إسرائيل ( يهود ونصارى ) كما ذكرنا فى بحثى التوراة والإنجيل .

على أن هذه الآيات التى وصفت التوراة والإنجيل بالتحريف وردت بها بعض الألفاظ التى تخصص كلمة التحريف بمعنى التغيير والتبديل فى الكلمات ذاتها ، فكلمة « عن مواضعه » فى قول الله: « يحرفون الكلم عن مواضعه » تجعل التحريف خاصا بتبديل الكلام وتغييره ، إذ لم يرد أن الموضع هو المعنى حتى يقال يحرفون الكلام عن معناه أو يقال يؤولون الكلام عن مواضعه ، كذلك لفظ «نسيان» « يخفون » ولفظ الاختلاف فى قول الله ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ

---

(1) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٣٦٤ .

فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ﴾ [١] ، كل هذه الألفاظ لا تجعل للتحريف معنى إلا التبديل والتغيير .

ثم إن القرآن الذى قال بأن التوراة هدى ونور ، والإنجيل هدى ونور ، هو نفسه الذى أمر بنى إسرائيل باتباع نبى الله محمدا مستشهدا على هذا بوجود صفته لديهم فى توراتهم وإنجيلهم حيث قال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [٢].

فهل التزم بنو إسرائيل بما فى توراتهم وإنجيلهم من الإيمان بمحمد ؟ فليأتونا بالتوراة التى نزلت على موسى ، والإنجيل الذى أنزل على عيسى ونحن نسلم لهم بصحتهما ونؤمن بصدقهما ؛ لأنهما حينئذ سيأخذان بأيدى بنى إسرائيل إلى الإيمان بمحمد وبكتاب محمد ، القرآن الكريم .

ولقد كان هذا القرآن يتلى أمام اليهود والنصارى الذين كانوا بالمدينة وسمعوا من القرآن آيات تصف التوراة والإنجيل بالتحريف ، وآيات أخرى تكفر الذين قالوا عزير ابن الله ، والمسيح ابن الله ، ولم يثبت أن اليهود أو النصارى فى ذلك الوقت اعترضوا أو كذبوا القرآن فيما ادعاه ، أو على الأقل ناقشوا محمدا فى دعوى التحريف هذه ، أو أتوا بما يثبت صحة هذين الكتابين أمام ادعاء المسلمين تحريفهما ولم يكن اليهود والنصارى من الجهل بحيث يعميهم هذا عن معرفة الآيات التى تقول بالتحريف فى كل من التوراة والإنجيل دون معرفتهم بالآيات التى تعترف بهما ، ولم يكن اليهود والنصارى فى ذلك الوقت من الجهل بحيث لم يدركوا أن التحريف هو التحويل والتأويل بغير المعنى والمقصد الصحيح كما قال

---

(١) هود / ١١٠

(٢) الأعراف / ١٥٧ .

الخورى .

أما استدلال الخورى بالآية ٣٤ من سورة الأنعام: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ .

فالمقصود بهذا كلمات مخصوصة هى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾[1].

وكذلك كل آية فيها وعد من الله بنصر رسله والمؤمنين ؛ وذلك لأن آية الأنعام من أولها إلى آخرها تتحدث عن نصر الله تعالى لرسله ، وحينئذ يكون المقصود بقول الله: ﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ ﴾ هو تلك الكلمات التى جاءت خاصة بنصر الله لرسله وللمؤمنين ؛ ولذلك قال ابن عباس تفسيرا لقول الله: ﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ أى لمواعيد الله[2] ، والمواعيد هى الوعد .

وقوله تعالى فى سورة الأنعام (١١٥)

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾.

جاء قبله قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ وقد قال المفسرون فى الآيتين أنه لا مبدل لحكم الله ولا راد لقضائه حيث حكم وقضى بنزول كتاب بعد التوراة والإنجيل يكون حكما بين محمد والمشركين ؛ وذلك لأنهم طلبوا أن يجعل محمد بينه وبينهم حكما من أحبار اليهود والنصارى ليحكم لهم هل فى كتبهم أن محمدا رسول أم لا ؟ فبينت الآيات لهم أن الحكم هو القرآن وهذا ما قضى الله به ولا مبدل لكلماته ، أى لا مبدل لحكمه وقضائه .

---

(١) غافر / ٥١

(٢) الشيخ محمد الصابونى ، صفوة التفاسير ، جـ٣ ، ص٦٦ .

ونحن إذا نظرنا إلى الآيات التى نزلت فى خلاف بين رسول الله ﷺ والمشركين ، وأن الله أمره أن يقول لهم لا حكم إلا للكتاب المفصل الذى نزل عليه إذا نظرنا إلى هذا كانت هذه الكلمات التى لا تتبدل أمرا خاصا بالقرآن الكريم ، والمعنى : لا حكم إلا الكتاب المفصل الذى نزل على محمد ، والذين آتاهم الله الكتاب قبل محمد يعلمون أنه – أى هذا الكتاب – منزل بالحق وأن كلماته قد تمت فلا تتبدل ولا تتغير .

أما آية الكهف (٢٧) ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾

فهى نص فى عدم قدرة أحد على تغيير كلمات الله التى أوحاها الله إلى محمد ﷺ وقال له بشأنها ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ ﴾ ، فالحديث عن الوحى الذى نزل من الله على محمد وهو القرآن الكريم ، وهذه شهادة خاصة للقرآن وليست شهادة بعدم تبديل التوراة أو الإنجيل ؛ لأنهما فى ذلك الوقت الذى نزلت فيه آية الكهف كان قد دخلهما التحريف بالفعل ، فالخطاب لمحمد يطالبه فيه ربه بتلاوة ما نزل عليه لأن هذا الذى نزل عليه حق لا يتبدل ولا يتغير ، وفى تفسير هذه الآية يقول ابن كثير: «يقول الله تعالى آمرا رسوله ﷺ بتلاوة كتابه العزيز وإبلاغه إلى الناس ﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ ، أى لا مغير لها ولا محرف ولا مزيل .

وبذلك بطل رأى الخورى وفسدت دعواه بأن لا تحريف فى التوراة والإنجيل وأن القرآن قد اعترف بهذا ، إذ تبين أن التحريف ثابت لا محالة ، والقرآن يثبت التحريف فيهما ولا ينفيه .

لكن تأتى هنا شبهة أخرى مرتبة على هذه النتيجة التى وصلنا إليها – وهى أن التوراة والإنجيل كتابان محرفان – هذه الشبهة تقول: إذا كانت التوراة والإنجيل محرفين فلم تستشهدون بهما؟ وهل يصح الاستشهاد بالمحرف المبدل ؟

**وهذه الشبهة يثيرها فريقان متطرفان:**

١- **فريق يقول:** حيث ثبت تحريف التوراة والإنجيل فلا يجوز حينئذ الاستشهاد

بهما أو الاستناد إليهما فى أمر من الأمور ، فالقرآن الكريم بين أيدينا وفيه الغناء عن أى كتاب آخر .

ويرد على هذا الفريق بما فعله علماء المسلمين فى هذا الموقف ، فابن تيمية وابن القيم وابن حزم والشيخ محمد رشيد رضا والشيخ محمد أبو زهرة والشيخ رحمة الله الهندى وغيرهم كثير كانوا يستشهدون بنصوص من التوراة وذلك من أجل إلزام الخصم بما فى كتابه ويعتقد هو صحته .

والرسول ﷺ قد أعطانا القاعدة الصحيحة لذلك ، فقد روى البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن نبى إسرائيل ولا حرج» [1] ، وهذا كلام مطلق قد قيد بحديث آخر رواه البخارى عن أبى هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون » . والقاعدة المستنتجة من الأحاديث – وكما قال العلماء – ما تبين لنا صدقه أخذنا به ، وما تبين لنا كذبه أعرضنا عنه ، وما لم يتبين لنا وجه الحق فيه فلم نعرف إن كان صادقا أم كاذبا قلنا فيه آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد .

٢- فريق آخر يقول : حيث يستشهدون بالتوراة والإنجيل فهذا دليل صدقهما وشاهد على صحتهما ، ويستند هذا الفريق فى دعواه على بعض الآيات التى فيها دلالة على صحة أحكامها وتشريعاتهما وذلك كقوله تعالى :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[2] ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[3] ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ

---

(١) البخارى : ٦ : ٣٦١ .

(٢) المائدة / ٦٨ .

(٣) آل عمران / ٩٣ .

فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾[1].

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[2].

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾[3] ويقولون أيضا : ثبت أن نبيكم قد استشهد بالتوراة على اليهود فى قصة الرجم للزانى المحصن .

**ويرد على هذا الفريق بأن الاستدلال بالتوراة والإنجيل له ناحيتان :**

أ- إن كان المقصود بالاستشهاد بهما مجرد إلزام الخصم فهذا لا يلزم فيه تصديق المستَشْهِدُ بصحة ما يَستَشْهِدُ به ، وإنما يكفى فقط أن يكون الخصم معتقدا بصحة هذا النص من التوراة أو الإنجيل حيث هو من أهلهما .

ب- إن كان القصد لإثبات وتقرير حقيقة دينية جاء بها القرآن وجاءت بها الرسل فحينئذ لابد من تصديق الطرفين بالدليل الذى يستشهد به من التوراة أو من الإنجيل ، والمسلم فى هذا الجانب لا يستشهد بأى من التوراة والإنجيل إلا إذا كان ذلك متفقا مع القرآن الكريم ، ومن هذا النوع تلك الآيات التى أوردها هذا الفريق الثانى ، إذ لابد فى الاستشهاد بها من اتفاق الطرفين على المقصود منهما ، وحيث إن لأهل الكتاب مقصدا لا نتفق معهم فيه بطل الاستشهاد بها .

فالآية الأولى التى إستشهد بها هذا الفريق تعنى أن اليهود والنصارى ليسوا على شيء من الدين إلا إذا أقاموا هذين الكتابين ، وآمنوا بما فيهما وعملوا بأحكامهما ،

---

(١) المائدة / ٤٤ .
(٢) المائدة / ٤٧ .
(٣) المائدة / ٦٦ .

ومما فيهما الإيمان بمحمد ﷺ واتباعه والإقتداء بشريعته ، كذلك عليهم الإيمان بما أنزل إليهم ، وماذا يكون هذا الذى أنزل إليهم غير القرآن الكريم ؟ فقد قال مجاهد فى قوله تعالى : « وما أنزل إليكم من ربكم »[١] يعنى القرآن العظيم ، ونسب هذا أيضا إلى ابن عباس[٢] ، ومن المعلوم بداهة أن الله حين طالب اليهود والنصارى بإقامة التوراة والإنجيل لم يطالبهم بإقامة توراة تقول: إن عزيرا ابن الله ، ولا بتوراة تقول : إن موسى قتل أخاه هارون ، ولا بتوراة تقول بأن سليمان عبد آلهة متعددة ولم يكن قلبه مع الرب إلهه[٣] .

كذلك لم يطالب الله بإقامة إنجيل يقول بأن الله ثالث ثلاثة ، وأن الرب صلب وضربه الجندى الكافر فى جنبه فخرجت الدماء من جسم الرب ، وليس بمعقول أن يطالب الله بإقامة إنجيل يجسم الإله ويصفه بصفات البشر .

أما قوله تعالى ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ .

فالقصد منها أن يقرءوا التوراة ويستخرجوا منها أن الأطعمة التى حرمها إسرائيل على نفسه كانت محرمة على نوح وعلى إبراهيم إن كانوا صادقين فى دعواهم أنها كانت محرمة قبل يعقوب ، فلما طالبهم الرسول بهذا لم يجسروا على قراءة التوراة لأنه ليس بها ذلك التحريم .

وإذن فحين طالبهم القرآن بقراءة التوراة لم يطالبهم بشيء موجود فيها وإنما بشيء غير موجود فيها ، وهذا لا يلزم عليه ثبوت صحة هذه التوراة .

على أننا نحن المسلمين حين قلنا: إن التوراة محرفة ومبدلة فإن هذا لا يلزم أن ينطبق على كل جملة وكلمة وحرف ، فقد يكون التحريف فيها فى موضع دون موضع ، وعليه فإنه تعالى حين طالبهم بإقامة التوراة والإنجيل أو بقراءتهما فإن هذا

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم جـ٢ ص٨٠ .

(٢) الشيخ محمد الصابونى ، صفوة التفاسير ، جـ٣ ، ص٣٥ .

(٣) سفر الملوك الثالث ، الفصل (١١) : ١- ١٠ .

ينطبق على الصحيح منهما الذى لم يتبدل ولم يتغير .

وقل مثل هذا فى بقية الآيات التى استشهد بها الفريق الثانى ، فالتوراة والإنجيل هدى ونور قبل تحريفهما وتبديلهما ، أو هما هداية ونور فيما تبقى منهما بدون تحريف وتبديل .

وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه على عيسى عليه السلام من وحدانية الله والإيمان بمحمد واتباع شريعته ، وحين طالب الله بنى إسرائيل بالحكم بما فى الإنجيل فإنما طالبهم بما كان فيه من حق قبل التحريف ، أو طالبهم بإقامة ما تبقى فيه من حكم أنزله الله ولم يبدلوه ولم يغيروه.

أما الاستناد على استشهاد رسول الله ﷺ بالتوراة فى رجم الزانى المحصن وضرب ابن سلام يد ابن صوريا حين وضع يده على آية الرجم فهذا حق ولكن لا يلزم من وجود هذا الحكم واستشهاد الرسول به على أهل التوراة أن تكون التوراة كلها صحيحة ، فلقد أبقى الله بعضا من التوراة وبعضا من الإنجيل خزيا لبنى إسرائيل وإظهارا لكذبهم وليكون ذلك حجة عليهم .

وإذن فاستشهاد الخورى بآيات القرآن التى تقول بأن التوراة هدى ونور ، والإنجيل هدى ونور ، وأنه على بنى إسرائيل أن يحكموا بهما ويعملوا بتعاليمها ، استشهاد الخورى بهذا على عدم دخول التحريف إلى كل من التوراة والإنجيل ، استشهاد باطل ، والتوراة والإنجيل كانتا محرفتين منذ ما قبل عهد الرسول وذلك باعتراف مفسرى العهدين القديم والجديد .

* * *

# الخَاتِمَة

هذه صفحات سطرتها فى دراسة القرآن الكريم سندا ومتنا ، وقد أظهرت هـذا السند الذى لا يدانيه سند لأى كتاب آخر فإذا بهذا السند قد تحققت له كل عوامل الصدق والاستيثاق ، فقد كتب القرآن فى عهد رسول الله ، وانتقل هذا الكتاب إلى المسلمين من بعده ، وجمع على يد أبى بكر وعثمان بطريق التواتر وبشهادة الشهود، الحفظة والكتبة ، وظل هذا الكتاب يتنقل من جيل إلى جيل فلم يزد فيه ولم ينقص منه ، ولم يبدل فيه حرف ولا كلمة .

ثم انتقلت إلى القرآن الكريم نصا ومتنا فبينت ما فى هـذا الكتـاب مـن عظمة لغوية وتشريعية ، وما يمتاز به عن الكتب السابقة من عموم وشمول ونفع للبشرية كلها وعلاج لمشاكلها .. وحتى لا تكون هناك شائبة تشوب هـذا الكتـاب عرجت على شبهات أثارها كارهون للإسلام حاقدون عليه فوضحت الحق فيها وبينت أن هذه الشبه أوهى من أن تسيء إلى هذا الوحى الإلهى المحفوظ من المولى عز وجل .

* * *

# المَراجع

١- ابن تيمية – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .

٢- ابن الجوزى – الوفا بأحوال المصطفى .

٣- ابن حزم – الفصل فى الملل والأهواء والنحل .

٤- ابن القيم – إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان .

٥- ابن كثير – تفسير القرآن العظيم .

٦- ابن كثير – السيرة النبوية .

٧- جلال الدين السيوطى ، جلال الدين المحلى – تفسير الجلالين .

٨- الفخر الرازى – مفاتيح الغيب .

٩- رحمة الله الهندى – إظهار الحق .

١٠- الزمخشرى – الكشاف عن حقائق التنزيل .

١١- سعيد ابن البطريق – التاريخ المجموع على التحقيق .

١٢- السيوطى – الإتقان فى علوم القرآن .

١٣- الشهرستانى – الملل والنحل .

١٤- الطبرى – جامع البيان فى تفسير القرآن .

١٥- القاضى على بن أبى العز- شرح العقيدة الطحاوية .

١٦- د. محمد رمضان البوهى – كبرى اليقينيات الكونية .

١٧- الشيخ محمد الصابونى – صفوة التفاسير .

١٨- د. محمد الطيب النجار – سيرة الرسول فى ضوء الكتاب والسنة .

١٩- د. محمد عبد العظيم الزرقانى – مناهل العرفان فى علوم القرآن .

٢٠- د. محمد عبد الله دراز – النبأ العظيم .

٢١- محمد عزة دروزة – القرآن والمبشرون .

٢٢- موريس بوكاى – القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم.

* * *

النجدى
للصف والإخراج التصويرى

ت: ٠١٠/٥٨٨٥٠٣١
٠١٢/ ٢٦١٤٣٤٩